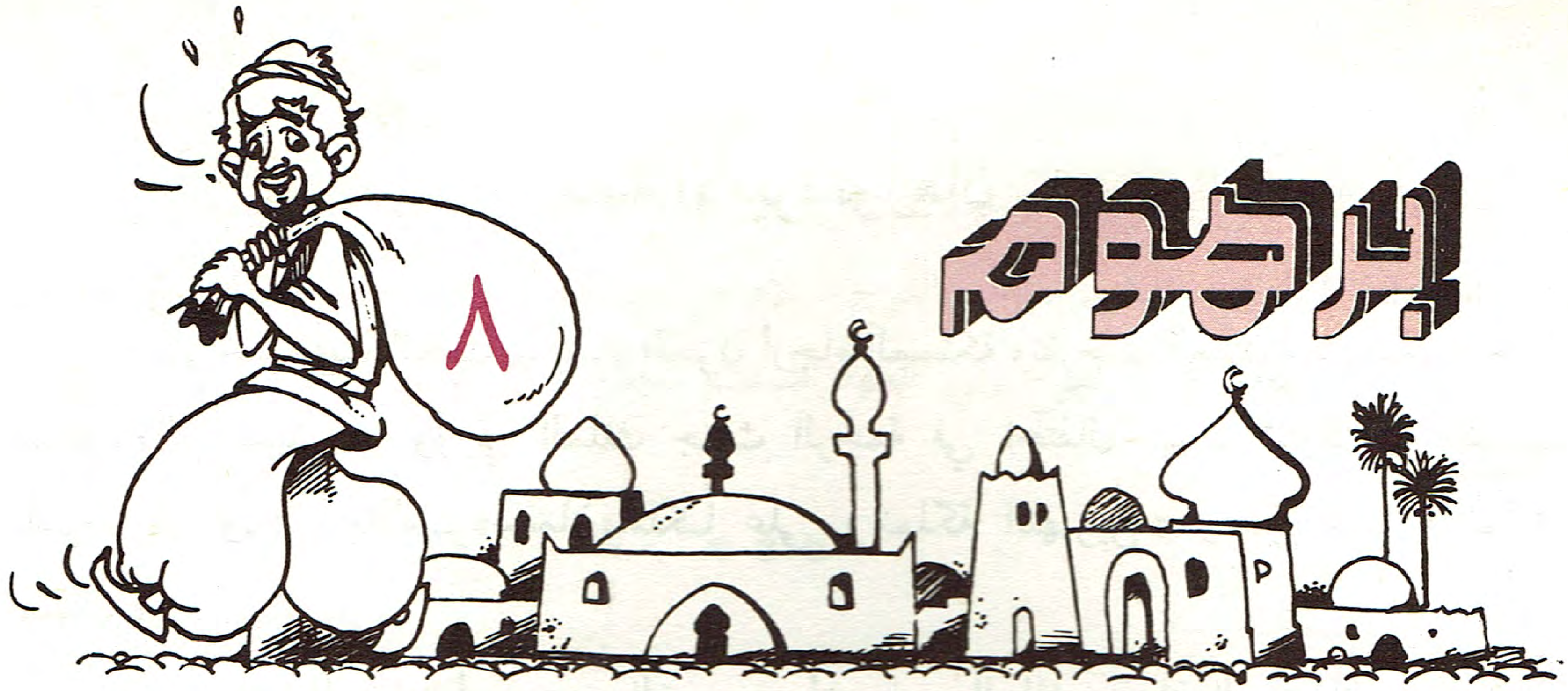
برهوم ٨

برهوم يعمل حكواتيًا





برهوم يعمل حكواتيًّا

قصة : محمد عبد الحميد الطرزي
رسوم : محمد طارق العسيلي

دار النفائس

ملخص ما نُشر في السابق :

برهوم إنسان حاد الذكاء ، كثير المرح ، شديد الوفاء . تسبّب في شجّ رأس جني صغير ، مما أثار والده «قطامش» ، فسجن برهوماً في زجاجة ورماه في قاع بحر الظلمات ، وهناك وجد بجانبه زجاجة سُجن فيها منذ زمن النبي سليمان مارد يدعى «حبظلم» فتصادقا ثم اختلفا ، وبقيا على تلك الحال حتى ابتلع حوت ضخم زجاجة برهوم وتسبب في وصولها إلى قصر ملكة اللؤلؤ ، فعرضت عليه الزواج منها فأبى وفاءً لزوجته ، ولكنها أصرّت على موقفها وعاقبته بسجنه مع أحدب غريب ، ثم هددته بحبظلم الذي ظهر من جديد في مملكة اللؤلؤ . ولكن الثلاثة تعاهدوا على الوفاء ووضعوا خطة للتخلص من سجن الملكة الظالمة ، فكانت مكيدتها أكبر ، وساعدتها ساحرتها على إعادة زجاجة برهوم إلى قاع البحر من جديد . فهرب برهوم والأحدب الذي أصبح أميراً جميلاً بعدما استعاد صورته الأصلية . . . وبعدما وصلا الى مملكة الأمير انطلقا فوراً في رحلة قاسية الى وادي الأفاعي يفتشان عن ساحره عساه يساعدهما في استعادة «حبظلم» وفك أسره وفاء منهما لصديق أسلم على أيديهما .

وفي وادي الأفاعي ، تعرض برهوم ورفيقاه للموت في بطون الأفاعي مرات عديدة ، وفي إحدى المرات هاجمتهم عدة أفاعي ، فهرب كل واحد منهم الى مغارة ليختبىء فيها ؛ فضاع برهوم عن صديقه ودليل رحلته . وبينما هو يفكر بطريقة للخلاص من هذه الورطة ، إذا به يتعرض لورطة أخرى ، فقد تشاجر مع جنيّ غليظ ، لم يخلصه منه إلا ظهور أميرة الجن «سنا» ، التي استضافته وأكرمته للاستمتاع بقصصه ومغامراته .

وفي قصر الأميرة ، وجد برهوم من الإكرام ما لم يحلم به من قبل . فقد كانت الأميرة وخطيبها من المولعين بسماع القصص الغريبة ، فاستغل برهوم هذه النقطة حتى نال ما يريد . ثم بدأ بسرد حكايته الأولى .

قصة الأميرة نورهان

انتشر خبر موت الملك ، وساد الحزن أرجاء المملكة وتقرحت العيون وهي تبكيه بحزن صادق وألم عميق . . ووُري الملك جدث الرحمة في احتفال مهيب شارك فيه الشعب بأسره . . . ونُودي بالأمير «بسمان» ملكاً على « مملكة النهرين » وحمل اسم « الملك بسمان » . . .

ومرت فترة الحداد وأصبح من الضروري أن يخرج الملك بسمان إلى ديوان والده لأول مرةٍ منذ تولِّيه الملك . . .

دخل عليه كبير وزراء والده برفقة وفد كبير من الوجهاء وأعيان المدينة وكبار تجارها ، وبعد أن قدموا له فروض الطاعة والولاء . . . تقدم كبير الوزراء من الملك الشاب وقال :

ـ مولاي الملك بسمان . . . أطال اللّه في عمرك وأبقاك ذخراً لهذه البلاد ولشعبها . . . إسمح لي ، ولكل من حضر معي لتقديم فروض الولاء ، أن نتقدم من جلالتكم بطلب يدفعنا للبوح به حبنا وولاؤ نا لمليكنا المفدّى . .

أجابه الملك الشاب قائلاً :

ـ طلبكم مجاب . . . فما اعتدنا من شعبنا الوفي إلا الخير والنصيحة . . وما اعتاد شعبنا منا إلَّا خدمة قضاياه ورعاية شؤونه ومصالحه كما أمر الشرع الحنيف . . . . .

ما هو مطلبكم حتى آمر به لينفذ على الفور اذا كان في استطاعتنا تنفيذه . . . .

قال الوزير بفرح :

ـ أطال اللّه عمر مولاي . . . إننا نترقب بلهفة ذلك اليوم السعيد الذي يتمم فيه مولاي نصف دينه ويتم زواجه ، لينعم اللّه عليه بوريث يرث ملك أجداده بعد عمر مديد لجلالتكم . . .

أطرق الملك مفكراً ثم قال بهدوء :

ـ في القريب ، إن شاء اللّه ، سيتم زفافي من ابنة عمي التي أحبها وتحبني ، الأميرة

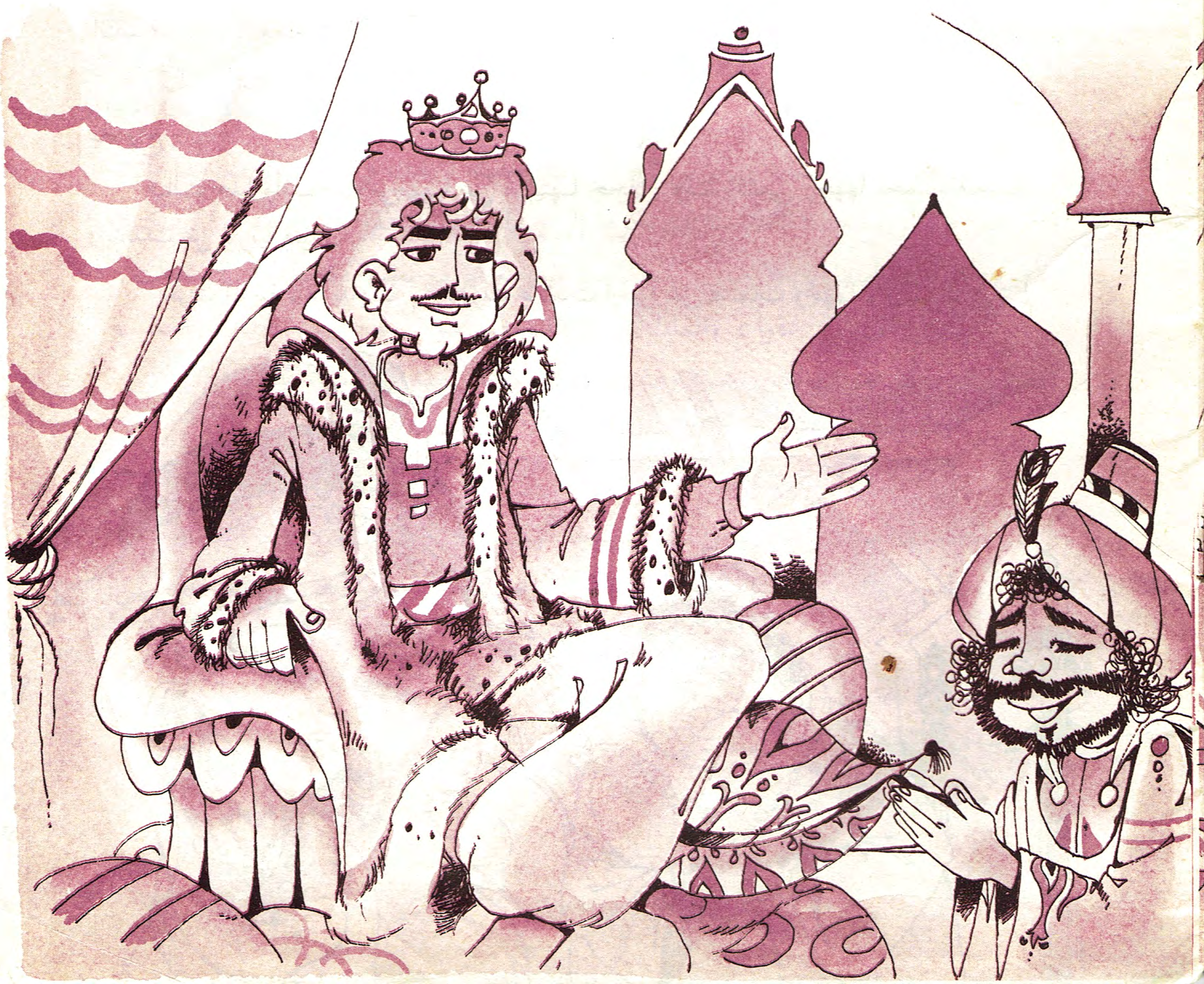


« نورهان » والتي اختارها المغفور له والدي لتكون زوجةً لي . . .

هلل الحضور وكبّروا وخرجوا بالبشرى السعيدة ليزفوها إلى جموع الشعب . . . فانتشر الخبر انتشار النار في الهشيم ، وعمّ الفرح البلاد من أقصاها الى أقصاها ، وانقلب حزنها على موت مليكها العادل فرحاً لفرح ولي العهد الملك الجديد . . . سليل الكرم والجاه والحكم العادل . . .

***

انتشر الخبر كذلك في أنحاء القصر ، وتناقله العبيد ، وثرثرت به الجواري حتى بلغ مسامع الأميرة الحسناء نورهان ، فانخرطت في البكاء وقطعت نزهتها التي كانت تقوم بها في بساتين القصر ، وأسرعت إلى جناحها مغمومة متكدرة . . . لحقت بها مربيتها الحبشية مندهشة حائرة



من تصرف الأميرة الغريب . . فبدلاً من الفرح والحبور لهذا الخبر الذي يحمل إليها السعادة والهناء تستقبل الخبر السعيد بالبكاء والعويل ، والحزن الدفين . . . .

وأمام غرفتها وقفت المربية حائرة ، وأخيراً تقدمت بخطوات مترددة وقالت تسأل أميرتها المحبوبة :

- أتبكين أيتها الحبيبة الغالية . . ؟ فأنا لا أدري . . . هل هي دموع الفرح التي تمطرها العيون الجميلة لفرط سعادة أصحابها . . . أم أنها . . . .

وسكتت المربية ، فقد رفعت الأميرة وجهاً بللته الدموع وتعبر قسماته عن الحزن الذي استبد بمشاعر الأميرة ، وقالت بأسى بالغ :

- بل هي دموع الأسى والخوف والحزن . . .

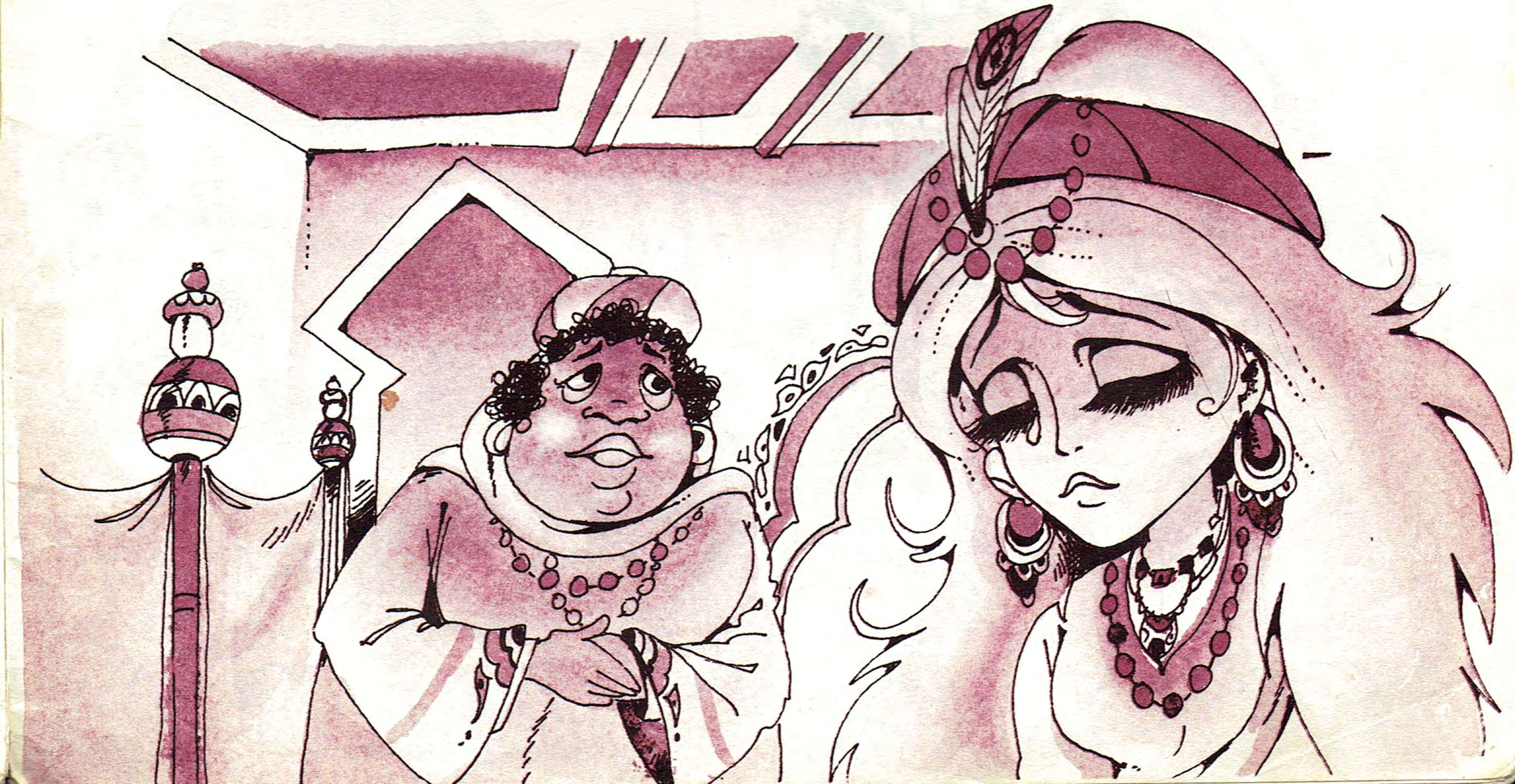
استبد بالمربية خوف غامض عندما سمعت كلام الأميرة ،وأدركت أن في الأمر سراً يجب أن تعرفه . . . فقالت :

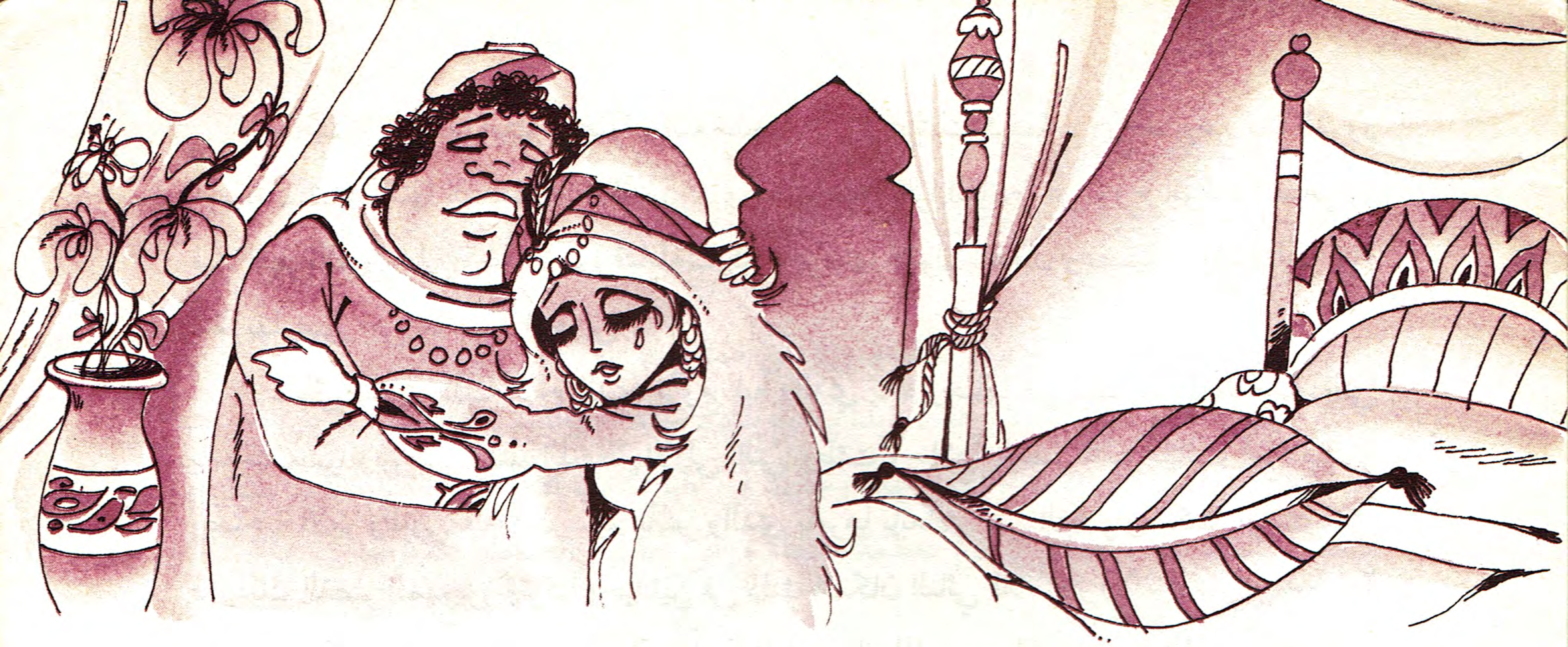
- أميرتي الجميلة نورهان . . . هل تخفين عني سراً ؟ فأنا لا أعهد منك مثل هذا التصرف . . . . مسحت الأميرة دموعها وقالت : ونبرة الحزن تخنق كلماتها :

- ليس عندي ما أخفيه خصوصاً عنك . . . كل ما في الأمر أنني . . . أنني لا أرغب بالزواج . .

قالت هذا وأشاحت بوجهها عن مربيتها خجلاً، وقد اكتسى وجهها بحمرة محببة وابتعدت عن المربية قليلاً .

فغرت المربية فاها بدهشة ، وظهرت علامات الحيرة على قسمات وجهها ، ولكن الأميرة لم





تستطع أن تتركها حائرةً هكذا ، فتقدمت منها وطيبت خاطرها ، فانتهزت المربية هذه السانحة وطوقت أميرتها الحسناء بذراعيها وقالت بدهشة شديدة:

- ولكنك تكنين له حباً عظيماً . . .

قالت الأميرة دون تردد :

- نعم أحبه . . . حبي له لا يوصف . . . ولكن . . . وسكتت الأميرة ، فعادت المربية تسألها :

- ما هذا الذي أسمعه يا أميرتي ؟ . . . إنك تحبينه لا شك في ذلك ، ومع هذا فأنت لا ترغبين في الزواج منه ؟ كأنك ستزفين مكرهةً إلى إنسان أرغموك على الزواج منه . . ؟ سكتت الأميرة وأطرقت برأسها الى الأرض ، بينما تابعت المربية تثير في نفسها ذكريات مضت، فقالت :

- أليس الأمير ، عفواً ، «الملك بسمان» المعظم هو بعينه حبيب الطفولة وخطيب الأمس . . . إبن عمك الذي عشت وعشنا نستحث الأيام لنبلغ هذا اليوم الميمون . . ؟

ازداد نحيب الأميرة وهي تردد :

- إني خائفة . . إني خائفة . .

ابتسمت العجوز المجربة وقالت ، ويدها اليمنى تربت على كتف الأميرة بحنان :

- سامحك اللّه يا أميرتي على ما سببته لي من رعب وحزن . هل هذا هو السبب الذي من أجله ترفضين الزواج من أجمل ملوك الأرض طرّاً ؟ . . .

نظرت إليها بعينين غشاهما الدمع وقالت :

- نعم أرفض . . . فقد يصيبني في الزواج ما أصاب أمي المسكينة . . .

صدمت المربية من إجابتها وقالت :

ـ أمك ؟ ما بالها أمك ـ رضوان اللّه عليها . . . ؟ عاشت كريمة ، ورحلت عن دنيا الغرور كريمة . . . أسكنها اللّه فسيح جنانه . . . ورفعت يدها تقرأ الفاتحة عن روح الوالدة الطاهرة . فيما ظهر الأسى على وجه الأميرة فقاطعت كلام مربيتها لتقول بانفعال وعصبية : وقد مثلت أمام ناظريها صور من ماضيها الحزين :

ـ هل نسيت ذلك اليوم الذي تزوج فيه والدي بعد رحيلها من تلك المرأة القاسية، التي باعدت بيني وبين أبي، منذ اللحظة الأولى التي وطئت رجلاها القصر الذي كانت أمي سيدته وصاحبة الأمر والنهي فيه ؟ . . ألم يأتمر والدي بأمرها بإبعادي عن القصر وأسكنني وأنت معي في ذلك القصر المهجور وتركنا وحيدتين في ذلك المكان النائي فلا نزور ولا نزار . . هل نسيت؟ هل نسيت كيف كان حالنا عندما ساق اللّه إلينا عمي الملك سمهان ، رحمه اللّه ، الذي أصر على رحيلنا معه وحضورنا برفقته إلى هنا . . ؟ إن نسيت كل هذا فأنا لن أنساه ما حييت . .

وكف برهوم عن الكلام ثم قال وهو يتحسس بيمناه معدته :

ـ سيكا . . تك . . تك . .

صفقت الأميرة طرباً وقالت :

ـ حالاً يا برهوم . . كل مطالبك مجابة فالقصة رائعة . . . أليس كذلك يا أمير مشارق ؟ . .

أجابها ضاحكاً ، وهو يشير بيديه ورأسه معبراً عن رأيه :

ـ يعرف الكتاب من عنوانه . . إنها قصة رائعة على ما يبدو . . .

أجابه برهوم متظاهراً بالغضب :

ـ إنها تستحق وصفاً أكثر من كلمة رائعة ، فهل عبرتما عن ذلك وإلاَّ كففت عن سردها فوراً . . . .

هتف الأمير بذعر :

ـ بل هي أكثر من رائعة يا برهوم . .

أجابه برهوم :

ـ الحمد لله على هذه البداية ، كنت أعتقد أنها مملة . . . ماذا ستقولان لو سمعتما البقية . . ؟

تهلل وجه الأميرة سنا بالفرح ، وقالت :

وهل يستغرق سرد بقيتها مدة طويلة من الزمن ؟ . . . إنك تقول إنها البداية . . .

أجابها برهوم ببرود :

ـ وهل سردت منها شيئاً . .

هتفت الأميرة بفرح غامر :

ـ رائع يا برهوم . . . رائع . .

أجابها فوراً :

ـ إذن أسرعوا في إحضار الطعام وإلّا لن نستمر في سردنا.

جهز الخدم كل شيء بسرعة ، وبدأ برهوم يلتهم ما لذَّ له وطاب ، وعندما شعر بارتياح بعد أن نال من الطعام الشهي قدراً يكفي عدة رجال، في حين كانت الأميرة إلى جوار الأمير مشارق يراقبانه باستغراب ، صفق برهوم بعظمة مفتعلة ورمى الجني الضخم بنظرة ساخرة وقال :

ـ إرفعوا المائدة . . .

وأشار بإصبعه إلى المارد المنتصب أمامه وقال :

ـ ربما كان جائعاً . . دعوه يأكل . .

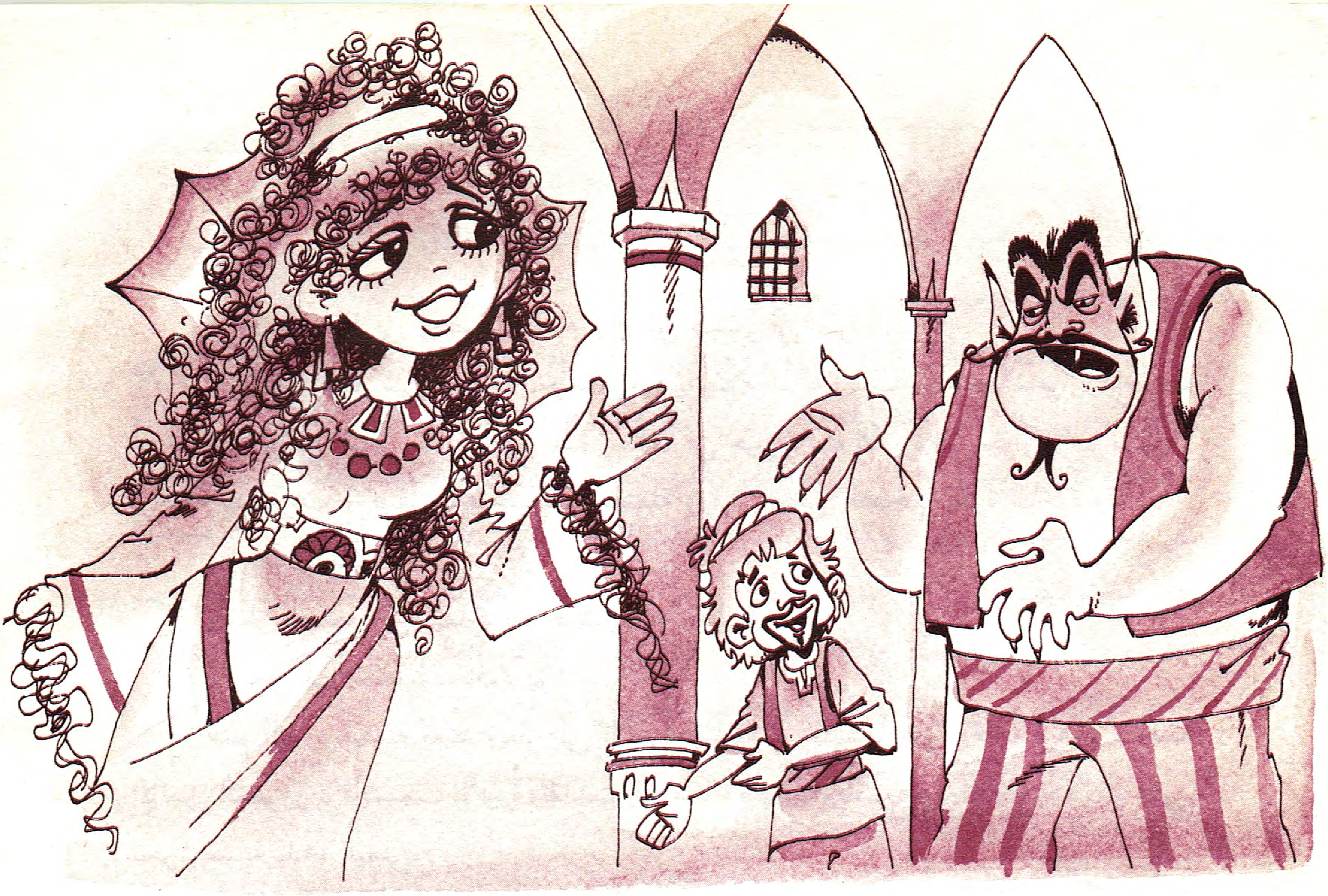
ضم المارد قبضته بغيظ ونظر إلى الأميرة سنا وكأنه يُشهدها على وقاحة برهوم ، ذلك الإنسي المغرور ، فابتسمت الأميرة وتقدمت إلى مكانه متهادية وقالت محذرة بغنج ودلال ، وهي تحرك سبابة يدها اليمنى :

ـ برهوم . . . لا تنسَ أنك تتحدث إلى أمير عظيم من أمراء الجن . . .

هز كتفيه باستخفاف وأجاب :

ـ أمير . . ؟ هذه السحنة العميقة والجبهة الواسعة ، والآذان الطويلة ، والأنياب البارزة تركب على وجه أمير ؟ . . عجيب واللّه . . .





اتقدت عينا الجني ، واكتست حمرة بلون الدم القاني ، ولكنه لم يجد جواباً ، فنظرت إليه الأميرة نظرة ذات معنى ، ثم التفتت الى برهوم وقالت :

ـ هل لك الخيار في الصورة التي خلقك عليها رب العالمين ؟ . . .

أجابها بدهاء :

ـ حاشا للّه . . ولكن لا بد أن هناك أسباباً تقود إلى هذه النتائج المزعجة . . .

خرج الجني عن صمته ، وقال غاضباً :

ـ وماذا تقصد ؟ . . .

ـ إني أقصد هذا القذر. . .

قالها برهوم باستسلام ومكر :

فقال الجني بغضب أكبر هذه المرة :

ـ من هو المقصود . . . ؟ أوضح وإلاّ . . .

رفع برهوم سبابة يمناه وأشار الى لسانه وهو يقول :

ـ هذا اللعين الذي لا يكف عن شتائم الناس الذين لا يعرف من هم . . . ولا يقدرهم حق قدرهم . . .

ضحكت الأميرة وضحك الأمير ونظرا الى الجني كأنهما يقولان له إن برهوم يتقدم منه بالاعتذار . . .

والتفت برهوم الى الجني وقال محاولاً استرضاءه :

ـ إن اسمك معقد بالنسبة لي . . .

ـ وماذا تريد مني أيضاً . . . ؟

قال له الجني بانفعال ، فأجابه برهوم :

ـ لا شأن لي باسمك ولكنني أفضل أن ادعوك باسم سهل اللفظ وله معنى . . .

قالت الأميرة وكأنها توافق على كلامه ، فيما وقف المارد حائراً ولسان حاله يردد : « ما باليد حيلة »

ـ وما هو يا برهوم . . ؟

قال برهوم وقد رفع حاجبيه :

ـ ما رأيك في اسم ميمون . . . ؟ إسم جميل أليس كذلك ؟ . . .

تدخل الأمير مشارق في الحديث قائلاً :

ـ هل تقصد ميمون من الأمل أم المقصود من اليمن ؟ . . على كل حال . . . لا شك أنه اسم جميل . .

ضحك برهوم بخبث وقال متوجهاً بالكلام إلى المارد :

ـ إذن اتفقنا . . أرجوك يا سيد ميمون أن تغرب عن وجهي وكفاك تطلُّعاً إليَّ . . ظللت تحدق في وجهي حتى صددت نفسي عن تناول الطعام . . . . .

لم يتمالك الجني نفسه فقال :

ـ ويحك . . أبعد كل ما ابتلعته تدعي أني صددت نفسك عن الطعام ؟ . . . سبحان اللّه في أمرك يا برهوم . . .

تحسس برهوم معدته بيده راضياً وقال :

ـ لك عذرك يا ميمون فقد لاحظت أن المرايا هنا لا تتسع لأكثر من أذن واحدة . . ولكن لو رأيت مدى قبحك مجتمعاً لعذرت شهيتي و . . .

وقاطعه الجني بغضب :

ـ الويل لك من غضبي عندما تنتهي مهمتك وتصبح في قبضة يدي . . سأطحن عظامك القذرة وأذروها للرياح تشتتها في أرجاء المعمورة . . .

ضحك برهوم ساخراً وأجابه بثقة :

ـ هل سمعت . . يا خليفة إبليس ؟ فإبليس اللعين مع ثقته الكبيرة في الخلود في جهنم يأمل أن يدخل الجنة ذات يوم . . .

ـ وما شأني أنا بما يأمله إبليس . . ؟ لعنة اللّه عليه . . . وعليك !! . .

قهقه برهوم وقال :

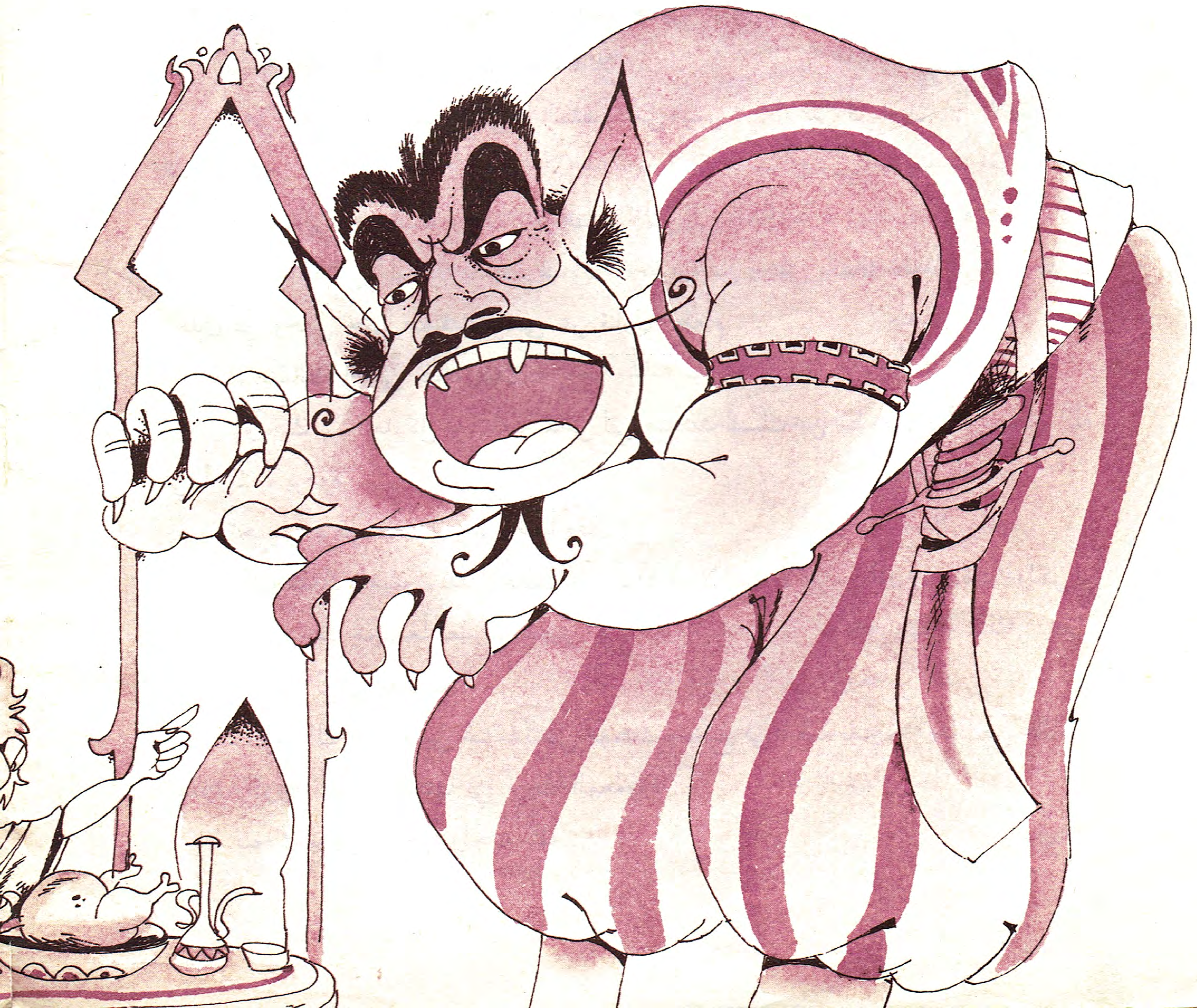
ـ كيف لا يكون لك شأن فيه وهو الحريص على راحتك فقد أعد لك أفخر جناح إلى جواره ، في سقر . .

لم يسع الأميرين إلاّ الابتسام لسخرية برهوم اللاذعة ، فقالت الأميرة :

ـ برهوم ألم تنتهِ من الجدل ؟ دعنا من هذا الآن . . . دعنا نرجع إلى قصتنا . .

نظر برهوم إلى الجني باسماً وقال :

ـ ألم تسمع؟أرنا عرض أكتافك يا ميمون . . .



أشارت الأميرة سنا بيدها فانصاع الجني لأمرها ، واستدار مودعاً لينصرف بضحكة ساخرة من برهوم الذي قال :

ـ ميمون نسيت أن أخبرك بأمر هام . . .

استدار المارد من جديد ليسمع برهوم يقول :

ـ إن في بلادنا نوعاً ممتازاً من القرود . . . حقاً هي أجمل منك بعض الشيء ولكن لا بأس . . . واسم أحدها ميمون يا سيدي الأمير المحترم . . .

وقهقه برهوم ساخراً ، بينما حاول المارد العودة بعد أن زمجر واتقدت عيناه تقدحان شرراً . . . ولكن نظرة الأميرة سنا ألجمته واكتفى بنظرة ودَّع بها برهوماً الذي قال :

ـ الآن يمكننا أن نتابع قصتنا .

قالت الأميرة ؛ وتوجهت أمامهما إلى مجلسها :

ـ فلنجلس في مكاننا المعتاد أولاً . .

واتخذ برهوم مكانه وقال متسائلاً :

ـ والآن هل تذكرون أين انتهى كلامنا ؟ . . .

أجابه الأمير مشارق بلهفة :

ـ انتهينا عندما قالت الأميرة الى مربيتها « إن نسيتِ أنت فأنا لن أنسى » . .

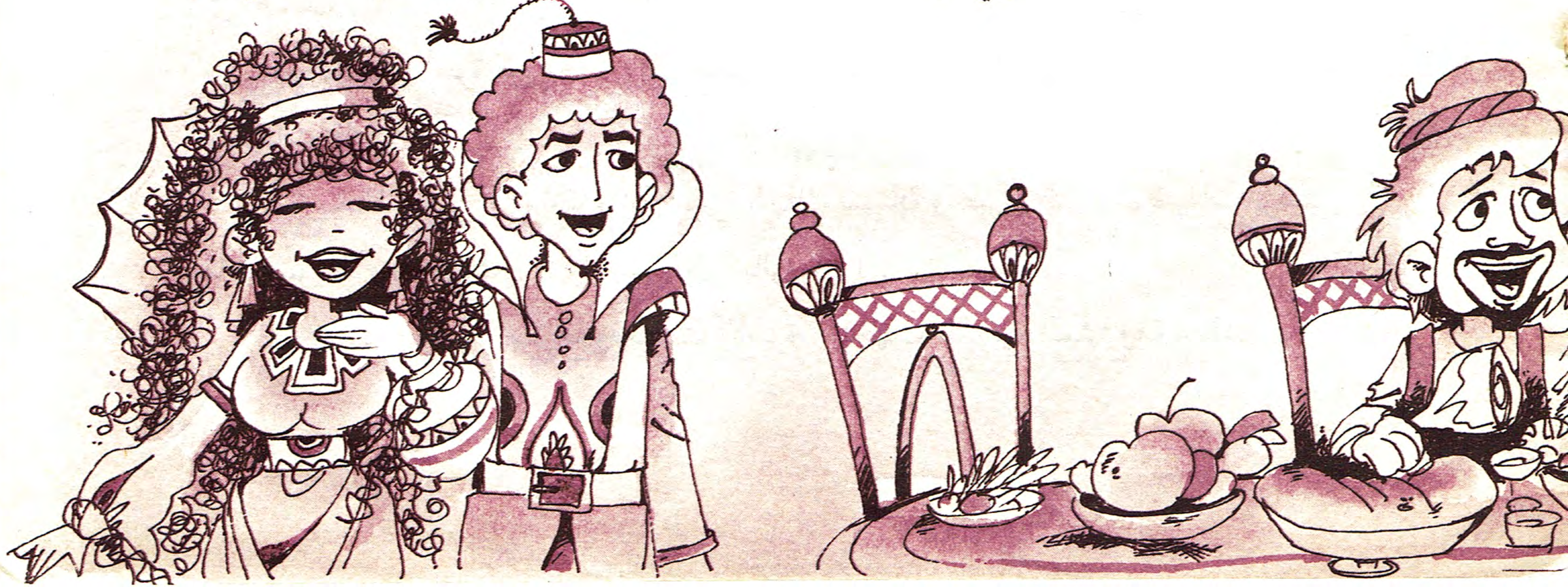
تهلل وجه برهوم فرحاً وقال :

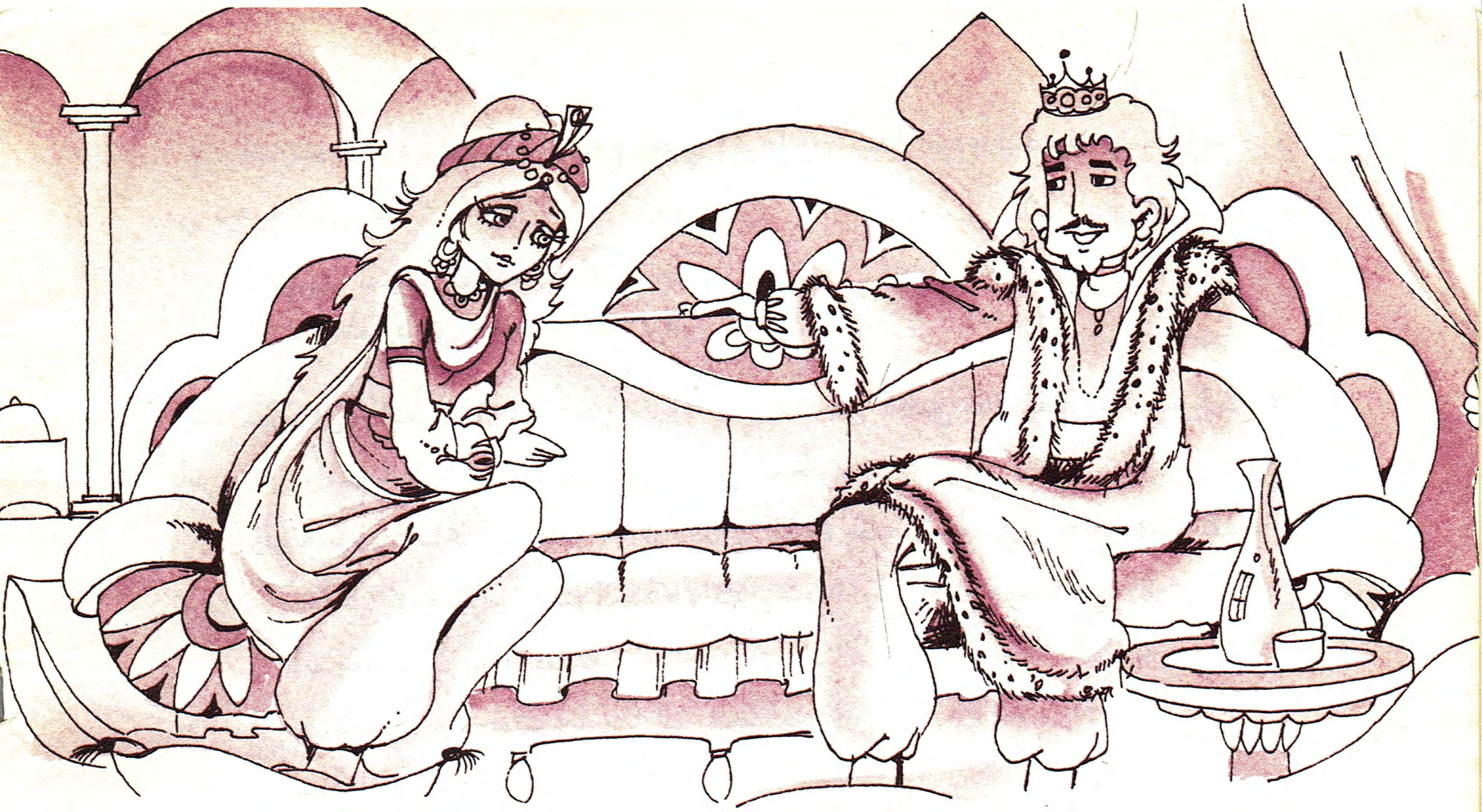
ـ الآن اطمأن قلبي إلى أنكما تنصتان بانتباه إلى ما أقول . . .

بعد أن انتهت المشاجرة بين برهوم والجني ،وسأل الأمير مشارق والأميرة سنا :أين انتهى كلامه في القصة ، اعتدل في جلسته ، وسكت برهةً قصيرةً ، ثم قال :

ـ لما سمعت المربية قول الأميرة تأثرت غاية التأثر وتظاهرت بغير ذلك . . . ولكنها تمالكت نفسها وقالت للأميرة :

ـ ما هذه الأفكار يا أميرتي نورهان . ؟ إنما أمور مرّت وعفّت عليها الأيام . . أتركي كل





أفكارك الحزينة هذه جانباً ، وتفرغي للفرح والسعادة بالاستعداد للأيام السعيدة التي تنتظرك مع الحدث المنتظر . . . ولكن الأميرة نورهان لم تستمع إلى نصحها بل هبّت من مكانها وقالت :

ـ لا . . لا أيتها المربية الصالحة ، لن يتم الزواج قبل أن أناقش ابن عمي في أمر معينٍ فإن حقق لي ما أطلبه، عندها سأكون أسعد عروس في العالم . . . وسكتت لحظة ثم تابعت بإصرار :

ـ أما لو رفض فإنني أقسم بالعذاب الذي عشته زمناً ، وبمرارة الأيام التي قضيتها مبعدةً عن أبي دون ذنب ارتكبته أو جريمة اقترفتها . . . أن أمضي بقية حياتي كلها بدون زواج . . . دهشت المربية العجوز وقالت :

ـ يا بنيتي كل ما تطلبينه منه مجاب . . فالملك بسمان ، من شدة حبه لك لا يرفض لك طلباً مهماكان ،إن كان في مقدوره تنفيذه . . . ؟ فهلا أخبرتني بما يقلق أفكارك ، فقد يكون لي فيه رأي صائب . . .

لم تجبها الأميرة نورهان . . بل صفقت بيديها دون أن تتكلم ، وعندما ظهرت إحدى الوصيفات قالت لها :

ـ ريحانة اذهبي إلى جناح ابن عمي الملك بسمان وأخبري كبيرة الوصيفات برغبتي في مقابلةٍ سريعةٍ مع الملك . . وارجعي إلي بالرد فوراً . . .

انسحبت الوصيفة بسرعة، فالتفتت الأميرة وواجهت المربية المشدوهة وقالت :

ـ اطمئني أيتها العجوز الطيبة ، فأنا اعلم ما يشغل بالك وما تخشين وقوعه . . . لن أورط ابن عمي في أي أمر بما سأطلبه منه . . إنه أمر لا يعني إلا أصحابه فقط . . . يعني : أنا وهو . . .

قبل أن ننطق المربية بكلمةٍ عادت ريحانة مسرعة ، فانحنت أمام الأميرة وقالت :

ـ مولاي في انتظارك يا مولاتي . . .

أسرعت الأميرة وغادرت جناحها متوجهة إلى جناح ابن عمها ،فقد لاقت أحر استقبال من الوصيفات والجواري ،فحيتهن مسرعة باتجاه قاعة الملك الذي كان يقف مفكراً قرب الباب فوجىء بظهورها أمامه فقال لها مرحباً :

ـ أهلا بابنة عمنا العزيزة الغالية . . .

أجلسها مكاناً مريحاً إلى جواره ، فأحست بالحرج لهذا الاستقبال وذاك الترحيب . . . لقد زاد من صعوبة ما أتت من أجله . . . ساءلت نفسها :

ـ كيف أبدأ ؟ ومن أين . . ؟

ولكنها لاذت بالصمت ، ولم تنبس ببنت شفة ،دهش الملك من صمتها وقال يسألها :

ـ عزيزتي نورهان . . أراك قد لزمت الصمت وكأن أمراً ما يدور في رأسك وتودين إطلاعي عليه . . فهل أخطأت في حدسي يا ترى . . ؟

تشجعت الأميرة ولم تترك الفرصة التي أتاحها لها الملك تضيع سدى ، لذلك قالت على الفور :

ـ بل صدق حدسك يا ابن العم . . بالفعل هناك ما يحيرني ويشغل بالي . . لهذا جئتك الآن قبل أن نبت في موضوع زواجنا . . .

ازداد عجب الملك من هذا الكلام فقال :

ـ إني رهن إشارتك يا نورهان . . ولكن اسمحي لي أن أعتب عليك . . أتحتارين وأنا إلى جوارك الزوج والأخ والحبيب . . ؟ أنت مني بمنزلة الروح من الجسد . . أنت رفيقة الطفولة وحبيبة الشباب بالله عليك ماذا يحيرك . . بإذن الله لن يكدرك أمر مهما عظم شأنه ، وأنا حي أرزق . . .

كان لكلماته الحنونة عظيم الأثر في نفس الأميرة نورهان مما شجعها على الحديث . . . والبوح بمكنون صدرها ، فقالت بصوت خافت :

ـ بسمان ، يا ابن عمي وزوج الغد القريب بإذن الله ،ترى لو سألتك عهداً ما ، ووعداً . . . هل تجيني إلى طلبي ؟؟ . . ؟

كان الملك الشاب ينظر إلى وجهها ، ودهشته تزداد لتصرفها الغريب وقولها الأغرب . .

ولكنه لم يتردد ، بل أجابها بلهفة :

ـ ألا زلت تتسائلين يا نورهان . . . ؟ قد شغلت بالي بحديثك المفاجىء هذا . . .

قالت بثبات :

ـ إذن عاهدني على الحياة والموت يا ابن عمي بسمان . . .

نظر إليها نظرة مستفسرة ، وقال مستوضحاً :

ـ الحياة والموت . . إني لا أفهم . . . أوضحي أكثر يا نورهان . . .

أجابته :

ـ أعني أن تكون لي وحدي حتى الموت . . هل ستقبل التخلي عن كل بهرجة الملك التي اعتادها الملوك والأباطرة ؟ . .

أجابها بحماس :

ـ يا إلّهي . . . أهذا كل ما يشغلك ويحير بالك ويبلبل أفكارك يا نورهان . . ؟ إعلمي أنني دون عهد أو قسم قد عاهدت نفسي سلفاً على ما تطلبين الآن . . . لن أكون كمن سبقوني من الملوك يا نورهان . . . أعاهدك عهداً لا رجعة فيه : أن أكون لك وحدك حتى الموت . . .

ارتاحت نفسها ، وزال توترها بعض الشيء . . . ، وكان الملك يديم النظر إلى وجهها الجميل وقد كسته حمرة محببة زادته تألقاً وجمالاً . . . فقد لاحظ الملك بسمان ذلك فقال ضاحكا :

ـ هل تدرين أن طلبك هذا جعلني أحبك أكثر من ذي قبل . . .

قالت الأميرة :

ـ ليس هذا كل شيء يا بسمان . . . بل هناك عهد أريد أن تقطعه على نفسك وسأقابله بعهد مماثل . . . . . .

ابتسم الملك الشاب ابتسامة رقيقة وقال بحنان . وهو يرفع يمناه :



ـ أعاهدك على ذلك يا حبيبتي ... فهيا ... أسمعيني عهدك ...

أجابته على الفور :

ـ قد يكون في مطلبي أنانية مبالغ فيها ولكن ... ولكن ما يشفع لي هو كوني سأعاهدك مثل عهدك وأعدك مثل وعدك ...

أجابها بصبر نافد :

ـ لقد عاهدتك ووعدتك ...

قالت بتوجس اهتز له صوتها الرخيم :

ـ بسمان ... قد أقبل بأن تتزوج بأخرى إذا لاقدر الله ولم أنجب لك وريثاً لعرشك ! .. أما إذا أنجبت لك الخلف الصالح ، بإذن الله ، فلا تكون لامرأة بعدي ... كذلك أنا لن أكون لرجل من بعدك ....

نظر اليها الملك ملياً ، وشرد تفكيره نحو الماضي البعيد ، فقد تذكر قصتها مع والدها ،



وتألم لها وخاصة الآن وقد أصبح ملكاً . . . لذلك هي تشعر هذا الشعور ، وتخاف هذا الخوف . . . فأحس الملك بحنان دافق يسري في أوصاله نحو ابنة عمه وحبيبة قلبه، خطيبة الأمس، وزوجة المستقبل . . فما كان منه إلا أن قال لها معاتباً :

ـ ما كل هذا التشاؤم يا عزيزتي نورهان . . ؟ أَتتحدث عن الموت ونحن لم نبدأ حياتنا بعد . . ؟ ومع ذلك إن كان هذا كل ما تطلبين فأنا أعدك أن أنفذه حتى اللحظة الأخيرة من عمري يا نورهان . . .

قال ذلك ووقف نحو صيوان من الذهب الخالص وفتحه وأخرج منه نسخة من نسخ المصحف الشريف ، وعاد به إلى حيث جلست نورهان ترقبه . . وضع راحته على الكتاب الكريم وقال بخشوع ورهبة :

ـ أقسم بالله العظيم وكتابه الكريم أن أنفذ كل ما طلبته مني وما دعوتك اليه وما عاهدتك عليه . . . واللّه على ما أقول شهيدٌ . . .

وقبَّل المصحف بإجلال وإكبار فحذت حذوه وهي متهللة فرحة تنظر إلى ابن عمها بحب واحترام ؟ وما لبثت أن قالت بصوت متهدج وهي تجهش بالبكاء :

ـ يا عزيزي بسمان . . أرحت قلبي وأزلت الهم عن نفسي ، سل الله أن يجعلني زوجةً صالحةً وأماً لأطفالٍ تقرّ بهم عينك . . . .

أجابها الملك بسمان محتاراً من غزارة دمعها في تلك اللحظة:

ـ أنا لا أعلم لماذا البكاء يا نورهان . .



قالت نورهان بحرارة وحنان :

ـ لم أبك مرة في حياتي مثل هذا البكاء يا . . .

أجابها الملك بحب وحنان هو الآخر :

ـ لك كل ما تطلبين يا قرة عيني . . . إلّا أن أرى الدمع في عينيك النجلاوين . . .

قالت نورهان ، وقد عادت البسمة إلى وجهها الصبوح :

ـ لأول مرة أبكي من شدة الفرح فأنا أشكر الله على نعمائه ، فقد جعل من نصيبي زوجاً أحبه حباً جماً وهو يحبني مثل ذلك . . . ولا يصعب عليه تنفيذ أي مطلب من مطالبي . . . بإذن الله تعالى . . .

أجابها على الفور :

ـ نفسي فداك يا عزيزتي .

قالت الأميرة نورهان :

ـ قبل قليل كنت أبكي خوفاً من الزواج . . . ولكني الأن آعتبر نفسي أسعد عروسة في العالم

ضحك الملك وقال :

ـ وما الذي بدل موقفك بهذه السرعة؟! ألسنا نحب بعضنا منذ اللحظة الأولى لاجتماعنا . . ؟

قالت بوجه بشوش :

ـ نعم . . ولكن كنت أشك أن يتغير حبك لي مع مرور الزمن ، ونسيت أن ابن عمي مؤمن صادق الإيمان ، ولو تذكرت هذا لما سببت لك الضيق مني .

قال الملك :

ـ سبق وقلت لك أنني أعتبرك أروع نساء العالم وأخلصهن وبعد حديثك هذا ثبت لي حبك وإخلاصك دون أن تدري . . . ومع هذا تقولين إنك تضايقينني ؟ . . . حاشا لله . . . حاشا لله . . .

* * * * * * *

عادت الأميرة نورهان إلى جناحها متهللة الوجه ، والسعادة والفرح يغمران كيانها . . . وكانت ريحانة مربيتها العجوز وكذلك جميع وصيفاتها ، في قلقٍ ولهفةٍ لمعرفة ما توصلت إليه الأمور . . وعندما وقع بصر ريحانة عليها وشاهدت أمارات الفرحة مرتسمةً على وجهها استبشرت خيراً . . .

ودون أن يسألها أحد ماذا حدث ، تقدمت الأميرة الحالمة وألقت بنفسها بين أحضان مربيتها كما كانت تفعل وهي طفلةصغيرة ،وأخذت تردد بفرح وهي تنظر إلى ما حولها دون أن ترى شيئاً . . . فقد كانت الصور التي تمر بمخيلتها تعكس حياة المستقبل السعيد . . . :

ـ وعدني . . عاهدني . . وعدني . . أقسم على الوفاء . . . حمداً لك يا ربي وشكراً . . .

وتنفست الصعداء ، فقد انزاح كابوس ثقيل عن صدرها الغض . . . فأجابتها المربية :

ـ لقد عاهدت ، يا ابنتي ، من يقدس العهود . . . ووعدت أصدق وخير من وعد . . .

اقتربت إحدى الوصيفات من مكانهما وانحنت باحترام وقالت :



ـ مولاتي كبير الوزراء يطلب المثول بين يديك . . .

استغربت نورهان الأمر وقالت :

ـ يطلب المثول بين يدي أنا ؟ . . لماذا . . ؟ إنه مطلب غريب . . . في هذه اللحظة . . . لا بأس سأوافيه حالاً . . .

ومن خلف ستار من الحرير ، يفصل بين مجلسها ومكان وجود كبير الوزراء الذي كان يقف بانتظار الإذن بالجلوس ، . . جاء صوتها لينبه إلى وجودها . . . مرحبة بالزائر قائلة :

ـ أهلاً بكبير وزراء مولاي الملك بسمان . . .

تقدم الرجل من مكانه مقترباً ناحية مصدر الصوت ، كي يَسمع ويُسمع ، وأخذ ينحني مرة بعد أخرى . ليقدم فروض الطاعة لمولاته ، الملكة المرتقبة ، وقال :

ـ يا مولاتي أحمل إليك أسعد خبر وأجمل بشرى . . وكف برهوم عن الحديث وقال باسماً :

ـ أراكما سعيدين جداً بسماع قصة الملك بسمان أليس كذلك ؟ . . .

وانتظر رد الفعل من جانبهما . . . فقد كان الأمير مشارق ينصت بانتباه شديد ، وكذلك الأميرة التي أجابته بفرح غامر :

ـ وأي سعادة يا برهوم . . . هيا هيا أكمل . . .

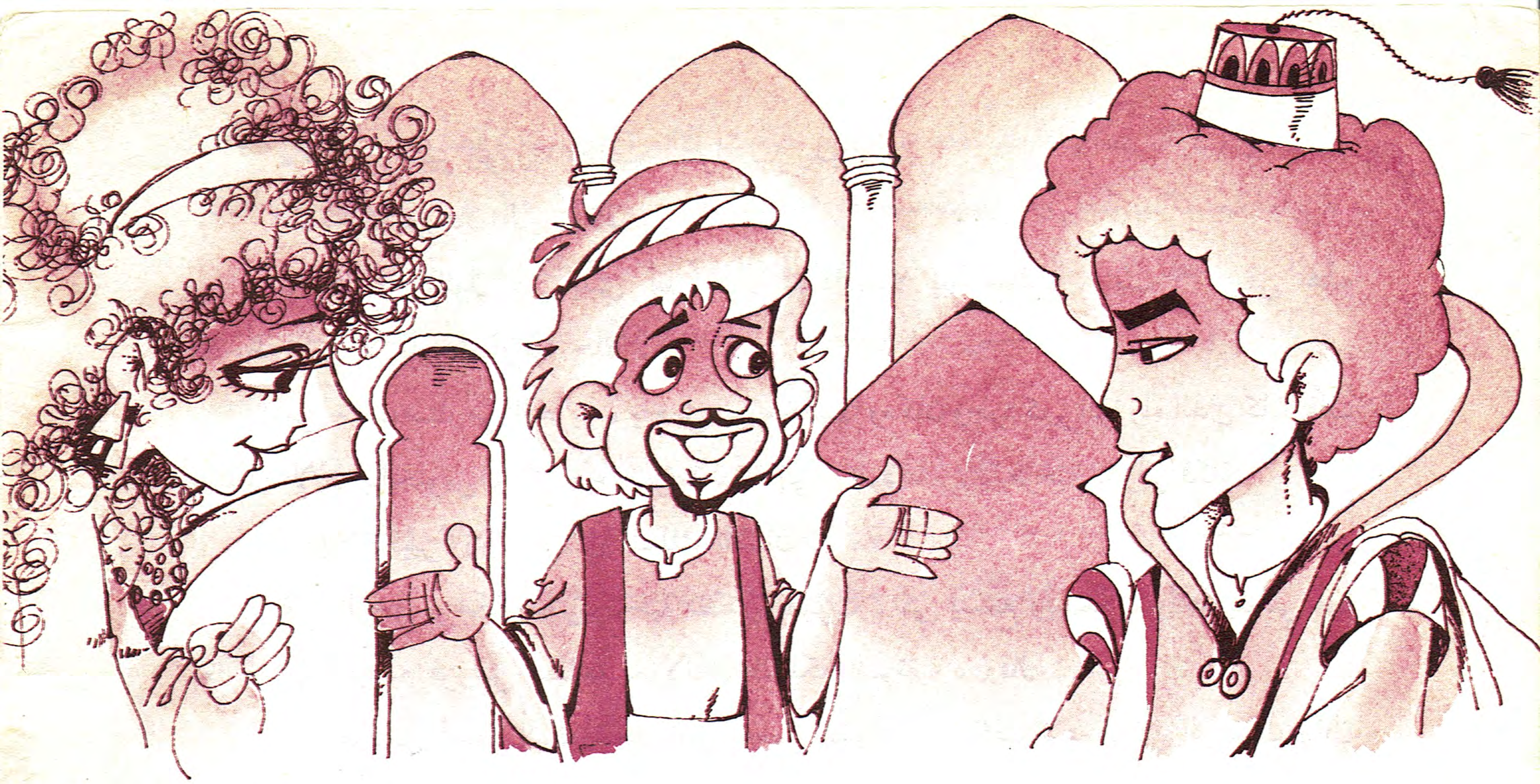
اتسعت ابتسامة برهوم وأخذ يضحك بخبث شديد . . . فقد أحس بالنصر . . . فلوى عنقه ناحية اليمين ، واشار بيديه وقال بدهاء ومكر :

سيكا ـ تك ـ تك ـ يا مولاتي . . .

أجابه الأمير مشارق بغيظ :

ـ لعنة الله على سيكا . . تك ـ تك . . هذه . . .





لم تفارق الابتسامة شفتي برهوم ، مع أنه اغتاظ من موقف الأمير ، فتمالك نفسه وقال :

ـ ولكنه الشرط يا مولاي . . . ألم تتعهدا بذلك ؟؟ . .

قال الأمير :

ـ ألن تشبع أبداً يا برهوم ؟!.

أجابه برهوم ببساطة :

ـ طالما أحس بالشبع لن يكف لساني عن الكلام . . . ولكن . . . ما باليد حيلة . . . هل تستطيع ، يا سمو الأمير ، أن تقوم بعملك ومعدتك خاوية ؟ . . . .

تدخلت الأميرة بالقول :

ولكن قل لنا أولاً ما هو الخبر السار ؟ . . .

وازدرد برهوم ريقه ، وحاول أن يتكلم ، لكنه تظاهر بعدم القدرة على النطق ، فقال ببرود ، وبصوت متقطع :

إن لساني لا يستطيع الكلام قبل تناول الطعام . . .

قال الأمير مشارق بحنق :

ـ ولكن . . .

وأراد أن يكمل كلامه ، ولكن الأميرة سنا ، أشارت له بيدها ، وقاطعته بقولها :

ـ لا تقطعوا الوقت في الشجار . . . والتفتت ناحية برهوم وقالت :

ـ مطالبك جاهزة يا برهوم

الحلقة القادمة

برهوم وملك الجنّ

في الحلقة القادمة يعرض أمير الجن « سفروت » مساعدته على برهوم ، فيفاجأ برهوم بذلك ويستغرب تحول الجني الذي تشاجر معه بالأمس إلى صديق يعرض مساعدته عليه . . .

ويدور حوار يقطعه حضور ملك الجن وملكتهم لسماع حكايات برهوم .

ماذا يقدم الملك والملكة لبرهوم ، وما هي الحكايات التي استهوت جماعة الجن ، كل ذلك سنقرأه في الحلقة القادمة « برهوم وملك الجن » .

شارع فردان - بناية الصباح وصفي الدين تجاه سيار الدرك - الطابق الثالث
ص . ب ٦٣٤٧ - ١١ - بيروت - هاتف ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو